سلاّم الترجمان

دراما في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الواثق بالله ـ الخليفة العباسي	الخصي ـ كبير الأدلاء
سلاّم الترجمان	ملك الخزر
ابن حرب ـ كاتم سرّه	جارية السكة

المنظر الاول

في قصر الواثق بالله بمدينة (سر من رأى ـ Samarra) مساء يوم صيل من سنة ٨٤٤ م . وقد جلس هذا الخليفة العباسي يضرب على العود ويغني ، وفي حضرته سلاّم الترجمان وابن حرب .

الخليفة الواثق (ينشد على توقيع العود) : —

هل تعلمين وراء الحب منزلةً ... تدني إليك فان الحبَّ أقصاني .
هذا كتابُ فتى طالت بليّتهُ ... يقولُ يا مشتكي بثي وأحزاني

(ثم يتوقف عن الانشاد ويضع العود)

ما رأيك في هذا الصوت يا سلام . أعطه بكل المائة التي سنصفها .

سلاّم — آية في الجمال يا مولاي .

الخليفة الواثق — ولكني لم أدعك ثم ابن حرب لاجل هذا يا سلام ، بل لامر جدّ خطير .

سلاّم وابن حرب ـ خيراً ، إن شاء الله .

الخليفة الواثق ـ سأوفدك يا سلام في مهمة جليلة ، على أن يكون ابن حرب كاتم سرك .

سلام ـ كاتم سري يا مولاي . لا أعرف أحداً فضحني مثل ابن حرب ، بل لا أعرف

أحداً تفنن في اختراع الفضائح لي وتزويد امرأتي بها مثله ، وكل ذلك يا مولاي أيها قريبته .

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق ـ وما دفاعك عن نفسك يا ابن حرب ؟

ابن حرب ـ حاولت اصلاحه يا مولاي لخيره وخير عيلته .

سلام (ضاحكاً مقاطعاً) ـ إصلاحي . هل انقلبت الأوضاع ؟

ابن حرب ـ وجدته يا مولاي في زقاق الأعرج مخموراً وقد أيقظ الناس بصياحه فصبّت امرأة من شباك ماء على رأسه .

سلام (ضاحكا مقاطعا) ـ سبحان الله سبحان الله

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ما شاء الله . أنعم بأماسنا الواعظ .

ابن حرب ـ ألتمس من مولاي أن لا يصغي إليه . إنه يهذي .

الخليفة الواثق ـ لا جناح عليه ولا عليك إذا أعلنت التوبة . أكمل حديثك يا ابن حرب .

ابن حرب ـ فلما أدركته يا مولاي تشبث بملابسي فسقطنا معاً في الوحل . ولما سألته عن حاله قال إنه كان يصلي الفجر ، وان ملابسه ابتلت من كثرة الوضوء .

الخليفة الواثق ـ (مقاطعا) ها ! ها ها ! لعله كان يتوضأ فوق ملابسه . ها ! ها ! ها !

ابن حرب . . وسرت به نحو منزله وهو يترنح ويسبّ إمام المسجد ، فاذا إمام المسجد المزعوم هو صاحب الخمارة التي مررنا بها في طريقنا .

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ! ها ! تبارك الله تعالى

ابن حرب ـ فلما سألت صاحب الخمارة عما حدث ، قال إنه نهاه عن الاسراف في الشرب فلم يرتدع ، وتعادى فأصرّ على أن يؤمّ جميع الحاضرين صلاة الفجر في الخمارة متوضئين بالخمر ، وأن يكون هو إمامهم ، وأخذ يصيح بالدعوة الى تقوى الله

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق (مقاطعاً ، متهكماً) ـ نعمت التقوى

ابن حرب ـ وأخيراً اعترف صاحب الخمارة بأنه اضطر الى ان يلقي به وبعربيد آخر ادّعى انه من اولياء الله الصالحين خارج الخمارة

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ها ! لقد كنت انسى المهمة الخطيرة التي دعوتكما لها ، ولكني اريد قبل التحدث عنها ان اسألك يا ابن حرب ماذا كنت تصنع في زقاق الأمرج عند الفجر ، وعليك ان تصدقني القول وقد امنتكما

ابن حرب ـ كنت يا مولاي قادماً من خمارة اخرى

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ! ها

ابن حرب ـ ولكني يا مولاي لم اكن مخموراً مثله ، ولو ان امرأتي رفضت إدخالي البيت بعد ان تطلعت في وجهي وزعمت انى شخص آخر

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! حرام ان اردبكما بعد ان امنتكما ، فلأدع ذلك للزمن ، والآن أنصتا جيداً الى ما عندي

لقد رأيت في المنام ان السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين مفتوح ، وهذا السد كما تعلمان واقع بين ديار المسلمين وديار يأجوج ومأجوج ، فاستيقظت مذعوراً وبعد التروي ارسلت في طلبكما الليلة وقد اعتزمت ان ابعث بك يا سلام ، يعاونك ابن حرب ، لتفقد هذا السد

سلاّم ـ سيجدني مولاي عند حسن ظنه بي دائماً .

ابن حرب (وجلاً) ـ يا مولاي . إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي . وهل يرضيك أن تتركني تحت رحمة سلام وبنفسه ما بها ضدي . لا ويب عندي الله سيبارك أمة يأجوج ومأجوج إذا ما قطعوني إرباً إرباً وأكلوني . ومن يدري فقد يستمرىء طعم لحمي .

سلام ـ والعياذ بالله .

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! انى أعهد فيك الشجاعة دائماً يا ابن حرب .

سلام ـ وأنا كذلك .

ابن حرب ـ أسمعت يا مولاي انه فرحان لهذه المصيبة التي تنتظرني . أما الشجاعة . الشجاعة يا مولاي قد تنازلت عنها عندما حطمت امرأتي الابريق فوق رأسي في تلك

الليلة المباركة — ليلة القدر .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! لا ريب أنها كانت لك خيراً من ألف شهر .

ابن حرب — لاتعجب يا مولاي اذا كنت ذكرت لتلك الرؤيا ، فاسم يأجوج ومأجوج من أسماء الجن التي تحاشى الله سبحانه وتعالى ، رحمة بعباده ، ذكرها في كتابه الكريم .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! المتن يا ابن حرب فلن يقل عددكم عن خمسين رجلاً ، ومعكم مئتا بغل لحمل الزاد والماء ، وسأعطي سلاماً كتاباً الى حاكم أرمينية ليقضي حوائجكم ويسهل مهمتكم .

ابن حرب — افعل استودعك الله يا مولاي ، فلا أمل لي في رؤيتك ثانية ، ما دمت ستطرحني بين ثلاثة أعداء أشداء من الكواسر :

ولو كان يأجوج لكنت أتقيته ولكنه مأجوج أيضاً وسلاّم !
فراضيعتي ما بين غول مصاحبي وغربتي قدامي ، أهلكي اسلام !

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! ها ! ها ! ها !

المنظر الثاني

في طريق البيئة بأرض سوداء كريهة الرائحة بعد أن ساروا ستة وعشرين يوماً ، وقد مرض ابن حرب في الطريق بداء المفاصل .

ابن حرب — هات الحمل يا سلام ، أفقدني ، ان هذه الرائحة الكريهة تذكرني بحمارة مسكويه

سلاّم — اوأبيت مبلغ نفسي لك ومبلغ مخاوفك السخيفة

ابن حرب — نعم بك من رفيق ، ويا حبذا لو وجدت لك حيلة في امري ، فلا انا قادر على السير ولا على الجلوس ولا على الرقاد ، لقد نال مني داء المفاصل

سلام — لم يبق لك الا ان تطير

ابن حرب — لقد اخلص لنا الادلاء ، فلولا رائحة الحمل هذا لوهبت روحي ، ومن ان هذه الرائحة الخبيثة لهذه الأرض السوداء الكريهة ، كأنها عدو لنا بالمرصاد ، بعد

سيرنا ستة وعشرين يوماً

سلاّم ـ عليك اني أحتمل يا صاحبي فأمامنا جنة وعدنا بها الأدلاء

ابن حرب ـ لم يسمع عن أحد فارق الجحيم الى الجنة

سلام ـ الا تعلم اننا لم نصل الى هنا سالمين الا بعد ترصية من حاكم إلى آخر فلولا كتاب حاكم أرمينية الى حاكم اقليم السرير ، ولولا كتاب هذا الى امير إقليم اللآن ، ولولا كتاب هذا الأمير الى فلان لما امكننا ولولا كتاب فلان الى ملك الخزر لما كنا في عالم الاحياء

ابن حرب ـ ومن قال اني في عالم الأحياء ، عليّ بالخل يا سلام ، انقذني من هذه الرائحة النتنة

سلام ـ يقول الغضنفر كبير الأدلاء إن امامنا مسير عشرة ايام في هذه الأرض السوداء

ابن حرب (مقاطعا مهددا) يا غير اسود

سلام ـ ثم نصل الى اقليم فيه مدن خرّبها شعب يأجوج ومأجوج ، ثم ننتهي الى السور المنشود ، ويقول الغضنفر إنه لا بدّ لنا من السير سبعة وعشرين يوماً قبل ان نبلغ غايتنا

ابن حرب (باسما) ـ هذا ما توقعته ، فأدفني يا سلام هنا ومعي زجاجة خل ، اقرأ الفاتحة صورة على روحي

سلام ـ لا تيأس يا ابن حرب ، وقد احتفظت لهذا البغل لك ، وسأريحك بقية الطريق !

ابن حرب ـ خلني يا صاحبي في هذا الجحيم ، فلا أنتظر أفضل منه ، ولك أن تترك معي هذا البغل أنيساً ، فقد يؤنسني .

سلام ـ يؤكد الغضنفر أننا سنجد بعد ذلك الاقليم حصوناً تسكنها أمة مسلمة تتكلم العربية والفارسية ، ولكنها لم تسمع بخليفة المسلمين قط .

ابن حرب ـ لا بدّ أنها قد كفرت الآن . عليّ بالخل يا سلام عليّ بالخلّ .

المنظر الثالث

في قصر ملك الخزر في أسية خريدة من الناس تقدمها ، وبعد استئذانه رجال البعثة جلس يحادثهم ثم عرض عليهم أعجوبة لم يسمع بها من قبل .

ملك الخزر ـ وما هذا الوادي الذي تتحدث عنه يا سلام .

سلام ـ وصلنا في آخرة مراحلنا يا سيدي قبل المجيء إلى ملككم السعيد إلى جبل لا نبات عليه ، يقطعه واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً ، وفي الوادي باب ضخم جداً من الحديد والنحاس ، طوله قفل طوله سبعة أذرع وارتفاعه خمسة ، وفوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس الجبل . وكان رئيس تلك الحصون الاسلامية يركب في كل جمعة ومعه عشرة فرسان ، ومع كل منهم بزرية من حديد ، فيجيئون إلى الباب ويضربون القفل ضربات كثيرة ليسمع من يسكنون خلفه ، فيعلموا أن الباب حفظة ، وليتأكد الرئيس وأعوانه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً .

ملك الخزر ـ يظهر أنك تتحدث عن الحصون الواقعة في جبال القوقاز على مقربة من دربند ، في إقليم داغستان ، غربي بحر قزوين .

الفضفضر ـ (كبير الادلاء) هذا هو الصواب يا مولاي ، وقد رأى هؤلاء السادة الأعاجيب التي اشتهوا رؤيتها وعاينوا ذلك السور العظيم . وبحمد الله لم يبلغوا ملككم السعيد إلا وقد استردوا عافيتهم وأخص بالذكر السيد ابن حرب الذي كان عليلاً متهوكاً في الطريق ، وكذلك بغالنا وصلت سالمة .

ملك الخزر ـ نحمد الله على سلامتكم وعافيتكم . ليس لدينا أيها السادة من الغرائب ما قد يشوقكم . ولكننا اصطدنا اليوم سمكة عظيمة جداً جذبناها بالحبال ورفعناها إلى هنا . وهي خلف هذا الستار ، وسأريكم الآن فتأملوا .

(يرفع الستار فتبدو هذه السمكة العظيمة جداً على منصة خشبية كبيرة)

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر ، تبارك وتعالى .

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، أنظر ها هي ذي السمكة تتنفس ، أنظر يا عمي ، أنا في وعيي .

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر .

ابن حرب ـ جارية بيضاء جميلة جارية ، وسمنها مثل السكة تخرج من أذن السكة الكبيرة ، أأنا في وعي .

أصوات تعجب ـ سبحان الخلاّق العظيم .

(جلبة مستمرة لا تنطق الحوار) .

ابن حرب ـ أأنا في وعي يا سلام !

سلاّم ـ ورأس الخليفة لا أعرف إذا كنت أنت حالماً يقظاً ، فلا تسألني هنك .

أصوات تعجب ـ سبحان خالق المعجزات

ابن حرب ـ يظهر يا سلام أننا مخمورون وقد نال منا ذلك الشراب .

سلام ـ وأية خمر يا صاحبي ـ ولو كانت رحيقاً مختوماً ـ يمكن أن تبدع هذا المنظر الرائع .

ملك الخزر ـ هذا كل ما عندنا أيها السادة ، فلتعودوا بنا إلى خليفة المسلمين حفظه الله ، لعله يسر به ، وقد يتنازل بزيارته إيانا ليرى ما رأيتم .

الغضنفر ـ هذه يا مولاي تجربة الأوائل والأواخر ، ولقد طوّفت بأقطار كثيرة فما رأيت مثلها .

سلاّم ـ إننا لمشدوهون يا مولاي مما نرى .

(أصوات خلفية : الله أكبر تبارك وتعالى)

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، أنها تبتسم إلي ، أني لأراك هنا يا ابن عمي حتى يحضر مولاي الخليفة . لقد استعدت قوتي .

سلام ـ إن ضيافتنا تنتهي اليوم ، فمحال بقاؤك .

ابن حرب ـ سأبقى معها في أذن السكة .

[النهاية]